المسيح مجد الشهداء

للقديس أُغُسطينوس أسقف هيبو

تقديم

الأنبا إرميا

الأسقف العام

ونائب رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

ترجمة

ريمون يوسف رزق

باحث

بالمركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

Ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲉⲣⲉⲩⲥ ... ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
Coptic Orthodox Patriarchate

The Coptic Orthodox Cultural Center
المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

المسيح مجد الشهداء

للقدِّيس أُغسطينوس أسقف هيبو

تقديم / نيافة الأنبا إرميا

الأسقف العام وسكرتير قداسة البابا شنوده الثالث

ونائب رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

يوليه ٢٠١٢

ترجمة

ريمون يوسف رزق

باحث بالمركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

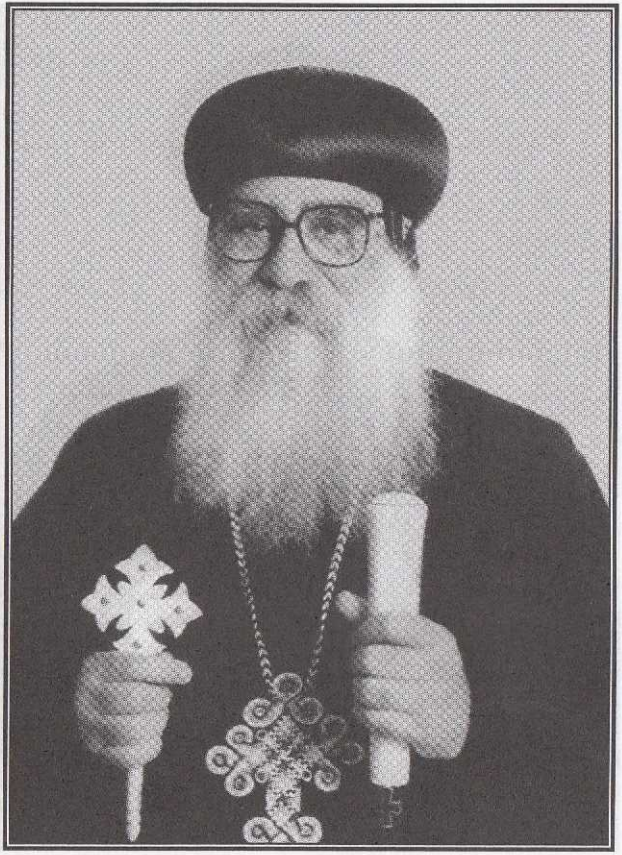

نيافة الحَبر الجليل الأنبا باخوميوس

قائم مقام البطريرك

ومطران البحيرة ومطروح والساحل الشمالي والخمس المدن الغربية

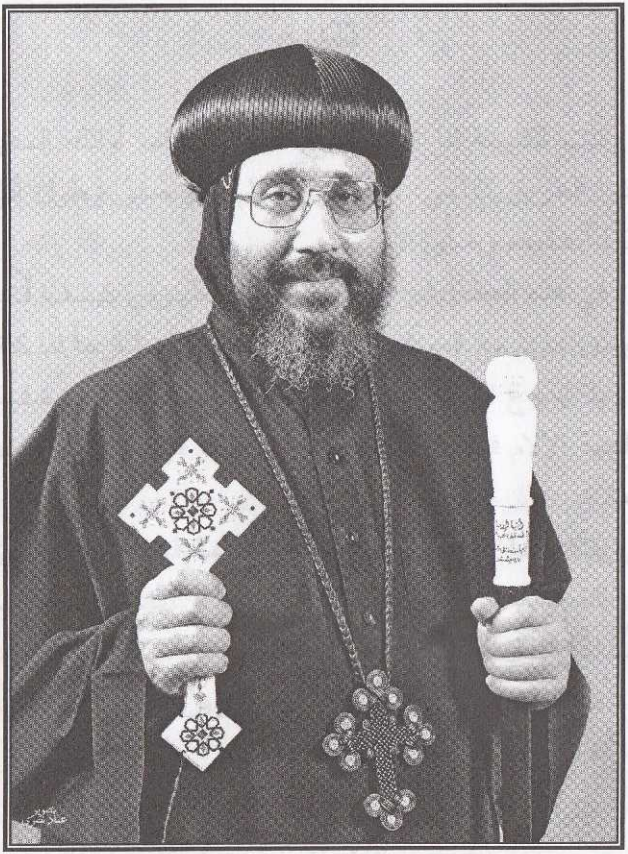

نيافة الحَبر الجليل الأنبا إرميا

الأسقف العام وسكرتير مثلث الرَّحمات قداسة البابا شنوده الثالث

ونائب رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

تقديم

رتَّبت الكنيسة لنا أن نحتفل بأعياد الشهداء، أولئك الذين سلكوا الطريق الإلهي، واحتملوا الآلام بكل صبر وطول أناة، أحبُّوا أعداءهم وصلُّوا لأجلهم.

وفي هذه العظة يشرح لنا القديس أُغُسطينوس كيف أنَّنا نخوض حرباً مع الموت وكل أعماله، ثم ينتقل شارحاً لنا كيف أن ربنا يسوع المسيح مجد الشهداء، وهو مانح القوة في مواجهة الآلام فلا نخاف بسبب ضعفنا البشري أو شِدَّة المُعاناة.

ويتأكَّد هذا المعنى بما نُردِّده في مقدمة قانون الإيمان: "... المجدُ لك يا سيِّدنا وملكنا المسيح: فخر الرُّسُل، إكليل الشُّهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس ...".

نفَّعنا اللَّه بتعاليم أبينا القديس أُغُسطينوس وصلواته. آمين.

٥ أبيب ١٧٢٨ش - ١٢ يوليه ٢٠١٢م

عيد الآباء الرُّسُل (عيد القديسَيْن بطرس وبولس)

الأنبا إرميا

الأسقف العام وسكرتير قداسة البابا شنوده الثالث

ونائب رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي بالأنبا رويس

مُقدِّمة المُعرِّب

حياة القديس أُغُسطينوس:

يُعتبر القديس أُغُسطينوس أشهر آباء الكنيسة الغربية، وأبعدهم أثراً. وُلِدَ أورليوس أُغُسطينوس **Aurelius Augustinus** في سنة ٣٥٤م في تاغسطا[1] بشمال أفريقيا. وكان أبوه "باتريسيوس" وثنياً مُنغمساً في الشهوات، وأمه "**مونيكا**" امرأة مسيحية شديدة التقوى، تتحمّل بصبر ثورات زوجها. وكان لعنايتها بتربية ابنها ورغبتها المُلحّة في تقدمه الروحي أثر كبير في حياته. وكان لأُغُسطينوس أخ اسمه "**نافيجيوس**"، وأخت نجهل اسمها، ألمح إليها في "**اعترافاته**". التحق أُغُسطينوس بالمدرسة في البلدة المجاورة "مادورا" حيث بدأ يتأثّر بالعادات السيئة التي لزملائه. وكان يبلغ من العمر ١٦ سنة حينما بدأ يدرس البلاغة.

في سنة ٣٧١م انتقل أُغُسطينوس إلى قرطاجة - عاصمة الولاية والمركز السياسي والثقافي في أفريقيا الشمالية - لمتابعة دروس الحقوق.

---

(١) هي الآن مدينة "أسواق أهْراس" تبعد حوالي مائة كيلو متر من مدينة عنابة بالجزائر. (المُعرِّب)

وفي الثامنة عشرة من عمره تعلَّق بفتاة أنجبت لـه ولـداً أسمياه "أديوداتوس Adeodatus" مـع كـل ذلـك، فمسـتواه الأخلاقي كان أعلى من مستوى طلبة قرطاجة.

وكان أُغسطينوس توّاقاً لأنْ يحصل على مركز ممتاز في المجتمع، إلاَّ أن دراسته أقنعته بحاجته المُلحَّة إلى "الحكمـة". ومن ذلك الوقت بدأ يبحث عن "الحق". ولمَّا أكمل دراسته عاد إلى تاغسطا ليدرس النحو. وقد اضـطربت أُمّـه لاعتناقـه المانوية[٢] ورفضت قبوله في بيتها، فعاش مع رومانيـانوس جارهم.

وكانت أُمّه تبكي وتتلوَّع وتتضرَّع إلى اللّه حتى يعود ابنها عن ضلاله، ويهتم بخلاص نفسه. وفي الليل ظهر لها الأسقف أمبروسيوس في رؤيا قائلاً لها: "تقي أن ابن هذه الدموع لـن يَهلِك". فاطمأنت وقبلت أُغسطينوس في البيت ثانية.

---

(٢) هم أتباع ماني الذي وُلِدَ عام ٢١٦م في جنوب ما بين النهرين. تأثرت رؤيـة ماني العقائدية بالمسيحيين المتهودين المعمدانيين الخـارجين عـن الإيمـان الأرثوذكسي القويم، الذين نشأ بينهم، كما تأثر أيضاً بالزرادشـتية والبوذيـة. علَّم المانيون بعنصرين أبديين وغير متغيرين وهما: الخير والشر، وقـدَّموا هذا كتفسير لكل الأسرار الطبيعية وفوق الطبيعية. رفضوا العهد القديم كلـه كعمل العنصر الشرير. اعتبروا التجسُّد كله خيالاً Docetic، وامتنعوا عـن الزواج. من كتابات ماني: "الإنجيل الحـي"، "العمالقـة وكتـاب المزاميـر والصلاة". (المُعرِّب)

وعاد إلى قرطاجة مُدرِّساً للبلاغة، وكتب أوّل مؤلفاته، وبدأ إيمانه بالمانوية يتزعزع. ثم نزح إلى روما ثم إلى ميلانو مُدرِّساً للبلاغة حيث تعرَّف بالأسقف أمبروسيوس الذي عامله بمنتهى العطف والمحبة. فأحبَّه أُغسطينوس وبدأ يستمع إلى عظاته لا لكي يتعظ بها أو لكي يدرس ما فيها من بلاغة؛ إنما لكي يراجع مبادئه. وبعدما درس معه العهد القديم، توجَّه إلى رسائل القديس بولس الرسول يطالعها بنَهِم، وقال: "وإذا بتلك الصعوبات - التي خُيِّلَ إليَّ أن بولس يناقض ذاته بذاته فيها - تتلاشى، وإذا بأقوال الناموس والأنبياء لا تتلاءم. ومع هذا ظهرت لي الوحدة بين آيات الكتاب النقية... وحين أخذتُ أعمل أدركتُ أن كل صحيح قرأتُه في كتب الأفلاطونية المُحدثة[٣] قد

---

(٣) الأفلاطونية المحدثة هي مدرسة فلسفية تشكلت في القرن الثالث الميلادي بناء على تعاليم أفلاطون والأفلاطونيين، لكنها تحوي الكثير من التفسيرات التي تجعل الكثير من الباحثين يرونها مختلفة عن فلسفة أفلاطون الأصلية. ومع أن الأفلاطونيين المحدثين يعتبرون أنفسهم أفلاطونيين وأنهم يدافعون عن أفكار أفلاطون، إلاّ أن الكثيرين منهم يعتبرون هذه الفلسفة محاولة لجمع المدرستين اليونانيتين الأساسيتين؛ أي الأفلاطونية والأرسطية. الشكل الأساسي لهذه المدرسة تم وضعه على يدي أفلوطين Plotinus الذي يقول أنه تلقى التعاليم الأفلاطونية من أمونيوس ساكاس Ammonius Saccas، أحد أهم فلاسفة الإسكندرية. وقام بورفيريوس Porphyry، أحد تلاميذ أفلوطين، بتجميع تعاليم مُعلِّمه في ستة أجزاء تُدعى التاسوعات Enneads؛ لأن كل جزء من هذه الأجزاء يتألَّف من تسع مقالات. ولولا هذا العمل لضاعت تعاليم أفلوطين وكانت في طي النسيان. (المُعرِّب)

جاء هـذا فـي كتبـك ممهـوراً بنعمتـك..." وهكـذا أدرك أُغسطينوس أن الأمر ليس اختياراً بين العقل والإيمان؛ بل أن الإيمان والعقل متكاملان.

وفي يوم من الأيام بعدما استمع إلى قصة أنبا أنطونيوس - وكيف أنه لمَّا سَمِعَ الآية (مت ١٩: ٢١). ترك كـل شـيء - هُرِع إلى ألبيوس وصاح قائلاً: "ماذا نعمـل ههنـا؟ ومـاذا سمعتَ؟ الجُهال يغتصبون السماء اغتصـاباً، ونحـن بعلمنـا الفارغ نتمرَّغ في اللحم والدم؟".

ثم اندفع إلى الحديقة فسمع صوت ولد يصيح قـائلاً: "**خـذ واقرأ! خذ واقـرأ!**" وباللاتينيـة "Tolle lege، Tolle lege". وحينئذ التهبت روحه وأخذ الكتاب المقدس وفتح فإذا بالآيـة: "**لنسـلك بلياقـة كمـا في النهـار: لا بـالبَطَر والسـكْر، لا بالمضـاجع والعَهَـر، لا بالخصـام والحسـد. بـلِ الْبَسـوا الـرب يسـوع المسـيح، ولا تَصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات**" (رو١٣: ١٣-١٤). ولم يكمل القراءة؛ إذ ملأ سلام اللَّه قلبه.

وكان ذلك في خريف سـنة ٣٨٦م، ففرحـت أمـه جـداً لاستجابة اللَّه لصلواتها. وبعد فترة من الاستجمام والدراسـة عمَّده أمبروسيوس هو وابنه في ميلانو.

ماتت أمه في إيطاليا، فمكث في روما إلى سنة ٣٨٨م، ثم عاد إلى قرطاجة. وقضَّى ثلاث سنين في الصلاة والدراسـة،

ثم باع كل ممتلكاته ووزّعها على الفقراء، وبدأ يبحث عن مكان يصلح لإقامة دير.

وبعد ذلك ذهب إلى "هيبّو"[٤] سنة ٣٩١م، ولكنه ما إن دخل الكنيسة حتى رشّحه الشعب بالإجماع، فسامه الأسقف فاليريوس قسّاً للمدينة. وكان حينئذ نحو الأربعين من عمره.

ولمعرفة الأسقف برغبته في الرهبنة خصّص له ديراً في حديقة الأسقفية؛ حيث تجمّع بعض الإخوة وعاشوا عيشة مشتركة، وكان هذا هو أوّل دير في أفريقيا الشمالية خلافاً لأديرتنا القبطية بالطبع.

وفي سنة ٣٩٥م سِيمَ أسقفاً "لهيبّو". ومنذ تسلّم المسؤولية راح يُفنّد المعتقدات المانوية باللّسان والقلم، ووضع عدّة أبحاث لتفنيد هذه الضلالة، عالج فيها مصدر الشرّ، وذاتية اللّه في العهديْن القديم والجديد.

كان أُغسطينوس راعياً لكنيسة مزقتها البِدع، ولاسيما بدعة بلاجيوس[٥]، الذي كان ينكر ضرورة النعمة، فاكتشف

---

(٤) حالياً عنابة في الجزائر. (المُعرِّب)

(٥) بدأت هذه الهرطقة بعد عام ٤٠٠م بفترة قصيرة عن طريق راهب إنجليزي يُدعَى بيلاجيوس. وُلدَ حوالي منتصف القرن الرابع في بريطانيا. درس اللاهوت اليوناني وبالأخص الذي لمدرسة أنطاكية. علّم بيلاجيوس بأن إرادة الإنسان الحرة وصلاحه الطبيعي هي القوة المؤثّرة في روحيات الإنسان، وأنكر الاحتياج إلى النعمة التي تُحرّك هذه الإرادة وهذا الصلاح. ترفض

ما ينطوي عليه تعليم البيلاجية من أخطار، فراح يكتب أوّل كُتبه ضد هذه البدعة بعنوان: "**في استحقاقات الخطاة ومعمودية الأطفال**"؛ حيث يُشدِّد على ضرورة نعمة اللّه التي تسبق الإرادة البشرية، وضرورة المعمودية للاشتراك في موت المسيح، والانتصار على الخطيئة الأصلية.

فظل يُحارب البدع المنتشرة بقية حياته، فكان يعمل ويُعلِّم.

وتنيَّح سنة ٤٣٠م عن ٧٦ عاماً؛ تاركاً مؤلفات تُعتبر من الكنوز اللاهوتية والروحية والتفسيرية الثمينة.

روى بوسيديوس تلميذه وأوّل مُدوِّن لسيرته أنه استنسخ مزامير التوبة وثبَّتها على الجدار أمامه، "وكان يقرأها والدموع تنحدر بغزارة من عينيه ... كان وقته كله للصلاة (بوسيديوس - السيرة ٣١)[٦].

تعاليم هذه الهرطقة عقيدة الخطية الأصلية، وتؤكد على ما هو طبيعي أكثر مما هو فوق الطبيعي إلى الدرجة التي معها يمكن في رأيهم اقتناء الخلاص بدون النعمة، وهذا هو خطؤهم الأول: التأكيد على قدرة الإنسان في الحصول على الخلاص بنفسه وحده وبدون النعمة. أُدينت هذه الهرطقة في مجمع في قرطاجة ٤١١م. (المُعرِّب)

[٦] تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه المطران كيرلس سليم بستروس، الأب يوحنا الفاخوري، الأب چوزيف العبسي البولسي، ط١، منشورات المكتبة البولسية، ص ٧٣٨.

لقد كان أُغسطينوس يملك ثقافة عصره، كما كان سيد الكلمة قولاً وكتابةً، وكتاباته تنبض بالحياة وكأنها تنفجر من روحه ومن قلبه.

وضع أُغسطينوس في أواخر حياته جدولاً لأعماله كان كإعادة نظر، وقد أجرى قلمَهُ فيها تعريفاً، وتلخيصاً، وتنقيحاً، وإضافة. ولم يتمكّن من إعادة النظر إلاّ في ٩٣ من مؤلفاته (أي في ما عدا الرسائل والخُطَب والمواعظ)، فقد كان لتلك المؤلفات قيمة فريدة لا تزال إلى اليوم من أروع ما خلَّفه العقل البشري.

مؤلفاته:

لا يتفوّق على أُغسطينوس في غزارة الكتابة وغناها الفكري إلاّ أوريجينوس، وكثيراً ما كان تُنسب أعماله إلى نعمة اللّه وصلاحه. هو بنفسه يُحدِّثنا بأنه كتب حتى سنة ٤٢٧م ثلاثة وتسعين كتاباً، هذا فضلاً عن مواعظه ورسائله المتعدِّدة. وقد فُقِدَ عشرة من المصنفات التي ذكرها، أمَّا الباقي فمحفوظ ذُخراً للفكر المسيحي لا يَنضُب.

١- **الاعترافات** confessions (تقع في ١٣ كتاباً أو فصلاً) ويُعَد هذا العمل من روائع الأدب العالمي.

٢- الأعمال الفلسفية:

- في الجميل والملائم (De pulchro et apto).
- في الحياة السعيدة (De beata vita).
- في النظام (De ordine).
- في المُناجيات (De soliloquia).
- في خلود النفس (De immortalitate animae).
- في روحانية النفس (De quantitate animae).
- في المُعلِّم (De magistro).
- في الموسيقى (De musica).

٣- الأعمال الدفاعية:

- مدينة اللّه (De civitate Dei).

هو من أهم كتب أُغسطينوس في تاريخ الحضارة ويقع في ٢٢ جزءاً، وينطوي على أروع دفاع عن المسيحية القديمة، في عرض تاريخي جَلِي، ويُقدِّم الصيغة الأولى الفريدة للاّهوت في التاريخ.

٤- الأعمال العقائدية:

- الأنخيريديون أو الكتاب الموجَّه إلى لورينتيوس (Enchiridion ad Laurentium).

✣ في الإيمان والقانون (De fide et symbolo).

✣ في القانون للموعوظين (De symbolo ad catechmenos).

✣ في الثالوث.

يُعتبر هذا العمل ثمرة تفكير طويل وعميق وثمرة مطالعة واسعة؛ قال: [قرأت كل ما تمكنتُ من قراءته من مؤلفات مَن كتبوا قبلي في موضوع الثالوث] (في الثالوث ١: ٧، ٤).

٥- الأعمال ضد المانوية والدوناتية[٧] والبيلاجية:

---

[٧] ناد الدوناتيون بقيادة أسقف قرطاجة ويُسمَّى دوناتوس (٣١٣ - ٣٥٥م) بقدسية الكنيسة وبرّها وبالقديسين، وبأن فاعلية الأسرار تعتمد على قداسة الكاهن. تُعدّ الدوناتية شقاقاً أكثر منها هرطقة. واندلعت حوالي ٣٠٣ - ٣٠٥م وقد قسمت شمال أفريقيا طوال قرن كامل إلى معسكرين متعاديين. كان السبب المباشر للشقاق هو الموقف في شمال أفريقيا الذي نتج عن الاضطهاد العنيف تحت حكم الإمبراطور دقلديانوس. ارتد العديد من الإكليروس وسلّموا الكتب المقدسة لكي تُحرق بناء على أوامر السلطات. واُعتبر هؤلاء الإكليروس من قبل المسيحيين الثابتين كخونة. يعتقد الدوناتيون أنهم الاستمرار الحقيقي للكنيسة في شمال أفريقيا، كما كانت عليه قبل الاضطهاد الكبير، وبخاصة في زمن كبريانوس. أُدينت الدوناتية في مجمع آرل ٣١٤م. وأدان الإمبراطور قسطنطين دوناتوس نفسه في ٣١٦م. في ٣٢١م أصدر قسطنطين أمره بعودة الدوناتيون المنفيون. ولكن في ٣٤٦م أُرسلت لجنة من قبل الإمبراطور إلى شمال أفريقيا لفحص قضية دوناتوس وعلى أثر ذلك نُفي هو وأهم أعوانه. وقد تُوفي دوناتوس في ٣٥٥م. (القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة لعلْم الباترولوچي في الستة قرون الأولى، ط١، كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بسبورتنج - الإسكندرية، يناير ٢٠٠٨م، ص ٣٣٨ - ٣٤٠).

✣ في البِدع.
✣ في الاختيار الحُرّ.
✣ في أخلاق الكنيسة الجامعة.
✣ في أخلاق المانيِّين.
✣ في سفر التكوين والمانيِّين.
✣ في المعمودية ضد الدوناتيين.
✣ ضد رسالة بارمِنْياس.
✣ في الطبيعة والنعمة.
✣ في نعمة المسيح.
✣ في الخطيئة الأصلية.
✣ في النفس ومصدرها.
✣ ضد أربع رسائل للبيلاجيين.
✣ ضد يوليانس.
✣ في النعمة والاختيار الحُرّ.
✣ في الفساد والنعمة.
✣ في قضاء اللّه في اختيار القديسين.
✣ في موهبة المواظبة.

٦- الأعمال التفسيرية:

✣ التعليم المسيحي (De doctrina christiana).

أ- تفسير العهد القديم:

- تفسير الفصول الثلاثة الأُوَل من سفر التكوين (تفسير رمزي).
- في الأسفار السبعة الأُوَل من الكتاب المقدس وفي المزامير تفسيرات ومواعظ مختلفة.

ب- تفسير العهد الجديد:

- في اتفاق الإنجيليون.
- ١٢٤ بحثاً في إنجيل يوحنا.
- عشرة فصول في رسالة يوحنا الأولى.
- دراسات تفسيرية أخرى تناول فيها إنجيلي متى ولوقا، والرسالتين إلى أهل رومية وإلى أهل غلاطية.

٧- الأعمال اللاهوتية والأخلاقية والرعوية:

- أبحاث في: الزواج، البتولية، الكذب، الصبر، تعليم الموعوظين، وطالبي الدخول في المسيحية.

٨- المواعظ:

له مجموعة ضخمة من المواعظ نُقِلَتْ عنه اختزالاً.

وقد نُسِبَ إليه ٣٦٢ موعظة أصيلة، فيما ذكر منها بوسيديوس ٢٧٩.

٩- الرسائل:

تبلغ مجموعة رسائل أُغسطينوس ٢٧٠ رسالة منها ٤٧ موجهة إليه، و٦ موجهة إلى أحد أصدقائه. وقد أُضيف إليها في ما بعد ٧ رسائل. ومن تلك الرسائل ما يمكن عدّه أبحاثاً فلسفية، ولاهوتية، ورعوية عملية. ومن أهمها تلك التي وُجّهت إلى إيرونيموس، والرسالة ٢١١ التي وضع فيها أُغسطينوس قانون الحياة الرهبانية لدير الراهبات في هيبو.

١٠- الشعر:

١- نظَم ما سماه "**المزمور ضد الفريق الدوناتي**" في ٣٠ مقطعاً.

٢- منظومة "**النفس**" على الوزن السُداسي.

هذه العظة:

ألقى القديس أُغسطينوس هذه العظة في بازيليك بقرطاجة، في تذكار القديس لورانس[٨] يوم ١٠ أغسطس. ويؤكد في

---

[٨] كان لورانس (٢٢٥ - ٢٥٨م) وباللاتينية لاورينتيوس "Laurentius" أحد السبعة شمامسة الذين خدموا تحت رئاسة سيكيستوس الثاني "Sixtus II" بابا روما، والذين استشهدوا تحت وطأة اضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨م. (المُعرِّب).

مستهل هذه العظة على أن الهدف من الاحتفال بتذكار الشهداء في الكنيسة هو التشبُّه بهم في ثباتهم على الإيمان الصحيح مهما كانت شدة الآلام.

وبعد ذلك يُشجِّع الشعب لئلا يفقد الثقة في الرب، مؤكِّداً على أن اللَّه يمنحنا القوة، فلا نخاف بعد بسبب ضعفنا البشري.

ثم يُعلِّق على الآية القائلة: "**ويلٌ لكُم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتُزيّنون مدافن الصدِّيقين، وتقولون: لو كُنَّا في أيام آبائنا لَمَا شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم**" (مت ٢٣: ٢٩ - ٣٢)، موضّحاً الفرق بين أبناء القتلة وأبناء المقتولين، بين أبناء الشهداء وأبناء قتلة الشهداء. ويرسخ في الشعب مفهوم "أبناء الشهداء" إن كانوا يحبونهم ويسيرون على دربهم.

وينتقل ليناقش ما هو السبب في أن الشهداء قد تكلَّلوا؟ ويقول: "إني أُؤمن أنهم نالوا إكليل [الشهادة] لأنهم سلكوا الطريق الإلهي، واحتملوا آلامهم بكل صبر وطول أناة، أحبوا أعداءهم وصلَّوا لأجلهم".

وأثناء هذه العظة يُعلن لنا أننا في هذه الحياة الراهنة نخوض حرباً مع الموت وكل أعماله، وعلينا أن نتّخذ الصوم

كسلاح في محاربتنا، وعندما ننتصر في تلك الحرب ننال المكافأة في الحياة الأبدية.

وجدير بالذكر أن القديس أُغسطينوس لا يختم هذه العظة بالخاتمة المعتادة لنا، وهى تمجيد الثالوث، بل يتوقف عن الكلام.

تمت ترجمة هذه العظة عن النص الإنجليزي المنشور في مجموعة "**آباء الكنيسة**" التي تصدر عن الجامعة الكاثوليكية بواشنطن تحت عنوان:

The Father of the Church, a new translation, vol. 11, Saint Augustine: Commentary on the Lord's sermon on the mount with seventeen related sermons, translated by Denis J. KAVANAGH, O.S.A, (The Catholic University of America press, Washington, D.C.: 1963), pp.: 339-355.

نتوسل إلى اللّه أن يُبارك هذا العمل بصلوات القديس أُغسطينوس، ولإلهنا القدوس محب البشر: الآب والابن والروح القدس كل مجد وتسبيح وسجود، الآن وكل أوان وإلى الأبد. آمين.

نَصّ العظة

الاحتفال بالشهداء[٩]:

١- اليوم بزغ احتفال عظيم في روما، إذ يجتمع هناك حشد ضخم للاحتفال بهذا العيد ... من أجل تكريم الشهيد. وبمعونة الرب ستكون [هذه العظة][١٠] قصيرة لدرجة أنها لن تكون مُرهقة لمستمعينا ولا غير كافية لتحقيق هدفنا.

وعلى الرغم من أننا لا نتواجد معهم[١١] بالجسد، إلا أننا نشترك معهم. ولأننا واحد في الروح معهم، فإخوتنا في الجسد الواحد هم تحت رأس واحد. فلا تقتصر كرامة [الاحتفال] بتذكار الشهيد على الموضع الذي يرقد فيه جسده.

فالصلاة واجبة الأداء في جميع الأماكن. فبالرغم من أن جسده قد وُضِع للراحة في مكان معين، إلاَّ أن روحه تحيا في انتصار معه وهو حاضر في كل مكان.

---

[٩] العناوين الجانبية من وضع المُعرِّب.

[١٠] ما بين القوسين المربَّعين [ ] أُضيف على النص الأصلي لإيضاح المعنى واستقامته. (المُعرِّب)

[١١] أي مع الشهداء. (المُعرِّب)

أخبرونا أن الطوباوي لورانس كان مظهره الخارجي مظهر شاب يافع، ولكن شخصيته كانت شخصية رجل ناضج ووقور، وقوة شبابه - مثل إكليل غير مضمحل - أكسبته جاذبية. لقد كان شماساً [بدرجة] أقل درجة من الأسقف، ولكن صيَّره إكليل الشهادة مساوياً لدرجة الرسول.

إن التذكار السنوي الذي لجميع الشهداء الممجَّدين قد أُسِّس في الكنيسة لتذكير أولئك الذين لم يشهدوا آلامهم بأن يتشبَّهوا بثبات الشهداء وإخلاصهم[١٢]. لأنه إن لم تُقدَّم أعمالهم بشكل جديد بواسطة تذكار سنوي، فسوف تفقد [أعمال الشهداء] تأثيرها على قلوب البشر.

ولكن في كل الأماكن توجد بعض التذكارات لبعض الشهداء لا يمكن أن تُقام، لأنه لا يوجد يوم ما بدون تذكار، بما إنكم لا تجدون يوماً ما لم يقتبل فيه أي شهيد إكليلاً.

---

[١٢] كانت هناك عادة في الكنيسة الأولى أن يُقام تذكار سنوي خاص لكل شهيد في المكان الذي استُشهد فيه. ومع التزايد الهائل لأعداد الشهداء - لدرجة أنه لم يَكف تخصيص يوم لكل شهيد - أسّست الكنيسة يوماً للاحتفال بعيد جميع الشهداء. وما زال هذا العيد قائماً حتى يومنا هذا ويُسمّى بـ "**عيد جميع القديسين**". ويُحتفل به في الأول من نوفمبر في الكنيسة الغربية، وفي أول يوم أحد بعد عيد الخمسين في الكنيسة الشرقية وهذا العيد يُقابله في كنيستنا القبطية "عيد النيروز" الذي نحتفل فيه بتذكار جميع الشهداء يوم ١ توت؛ رأس السنة القبطية.

Cf., *The Fathers of the Church*, vol. 11, p. 340.

إن كنا نحتفل بأعيادهم باستمرار [أي يومياً]، فإننا لن نتذوق [حلاوة] هذه المناسبات، في حين أن الفترات [التي تفصل بين العيد والآخَر] تُشعل الشهوة مرة أخرى.

لنتَّبع ما أُمرنا به، لنتطلع إلى ما وُعدنا به. وفي تذكار أي شهيد، لنُعِدّ قلوبنا لهذا الاحتفال حتى لا نُقصي أنفسنا من اتباع قدوته.

على الجميع أن يتمثّلوا بالشهداء:

٢- الشهيد بشر مثلنا. ومَنْ خلقه؟ أليس الذي خلقنا نحن أيضاً؟ لقد افتُدينا بالثمن نفسه الذي افتُديَ هو به. ولذلك وَجَب على أي مسيحي ألاّ يقول: لماذا عليَّ اتباع هذا المثال؟ وبالطبع لا يجب على المسيحي أن يقول: أنا لن أقتفي أثر قدوته.

لقد سمعتم كلمات الطوباوي كبريانوس بُوق الشهداء ومثالهم: "في الاضطهاد والقتال يُكلَّل [المسيحي]، وينال الجَعَالة[١٣] في السلام والثبات"[١٤]. ومنذ ذلك الحين، فلا يُفكِّرْ الإنسان أنه تنقصه الفرصة. ففرصة [الإنسان] للتألم هي غائبة أحياناً، ولكن فرصته للصلاة والتعبُّد فهي حاضرة دوماً.

---

[١٣] أي المكافأة. (المُعرِّب)

[14] Cf., St. Cyprian: *De exhortation.*

أتمنَّى ألا يظن الإنسان أنه ضعيف حينما يمنحه اللَّه القوة، فلا يخَفْ من أجل ضعفه، ولا يخَفْ حتى من أن يَفقد الثقة في [الرب] العامل فيه[١٥]. في الحقيقة إن اللَّه قد أراد كلا الجنسين وجميع الأعمار أن يتمثَّلوا بالشهداء. الطاعنون في السن نالوا الإكليل، والشباب، والمراهقون، والأطفال نالوا أيضاً الإكليل. وليس الرجال هم الذين تكلَّلوا بل والنساء أيضاً نساء من كافة الأعمار.

فلَم تقلن النساء أنه بسبب جنسهن هن غير قادرات على تحمُّل الغلبة على الشيطان. بل بالأحرى جميعهن عقدن العزم على هزيمة العدو الذي قهرهُنّ، وأن يصارعن بإيمان المُضلِّل الذي قَبِلن حيله. ولكن، هل اعتمدن على قوتهن بعجرفة؟ قيل لجميع البشر: "وأيُّ شيء لك لم تأخذه؟" (١كو ٤: ٧)، ولذلك فإن **مجد الشهداء هُوَ المسيح!**

هو [المسيح] يقود الشهداء، يَهبهم القوة، ويكافئهم بالإكليل. وعلى الرغم من أن السلام يسود في وقت معين والاضطهاد يحتدم في وقت آخَر، [إلاَّ أننا نسأل] هل هناك وقت ما لا يكون فيه اضطهاد مُخفى؟ فالاضطهاد المستتر هو معنا دوماً؛ لأنه مع أن التنين والأسد والأفعى لا يهاجمون

---

[١٥] أُنظر (في ٢: ١٣).

ولا يتربَّصون دائماً، إلاّ أنهم في ملاحقة عدائيـــة [لفرائســـهم] دائماً.

إن كان هجومه ظاهراً فتربُّصه غير ظاهر، ولمَّـــا يكـــون تربُّصه غير ظاهر فهجومه أيضاً غير ظاهر. في كلمة: عندما يهاجم مثل الأسد فلا يزحف مثل الأفعى، وعندما يزحف مثل الأفعى فلا يهاجم مثل الأسد. ولكن لأنه هو كلا الاثنين - الأسد والأفعى - فهو في ملاحقة عدائية دائماً.

وحينما لا يُسمع زئيره فاحترس مـــن تربُّصـــه. وحينمـــا يُكشف عن تربُّصه فابتعد عن زئيره بعيداً. **فإن ثبَّـــتم قلوبكم في المسيح فإنكم ستتجنبون كلاًّ من الأسد والأفعى.** إن أهوال وآلام هذه الحياة هى زائلة بالحق. بَيْدَ أن في الحياة الأخـــرى لا يزول ما نحبه، وما نخافه يضمحل.

مَن هم أبناء الشهداء ومن هم أبناء المُضطهِدين:

٣- في [فصل] الإنجيل الذي قُرأ توّاً، خاطب يسوع اليهود وقال لهـــم: **"ويلٌ لكُم أيها الكَتَبة والفرِّيسيون المراؤون! لأنكم تبنـون قبـور الأنبياء وتُزيّنـون مـدافن الصدِّيقين، وتقولـون: لـو كُـنَّا في أيـام آبائنـا لَمَـا شـاركناهم في دم الأنبيـاء. فـأنتم تشـهدون على أنفسكم أنكم أبناءُ قتلةِ الأنبياءِ. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم"** (مت ٢٣: ٢٩ - ٣٢).

إن قولهم: "لو كنا في أيام آبائنا لَمَا شاركناهم في دم الأنبياء" يؤكد على أنهم أبناء قتلة الأنبياء.

ولكن بالنسبة لنا إذا وجَّهنا مسارنا على نحو قويم، فلن نقول: إن آباءنا هم قتلة الأنبياء؛ بل بالأحرى نقول: إن آباءنا قُتلوا بواسطة الآباء الذين كان يخاطبهم الرب.

تماماً مثل إنسان ينحط بسبب أخلاقه، فهو أيضاً يكسب البنوة بسبب أخلاقه. أيها الإخوة، لأننا دُعينا أبناء إبراهيم بالتأكيد - رغم أننا لم نَرَ وجه إبراهيم ولا استمددنا نسبنا من أصله العرقي - ففي أي شكل نحن أبناء إبراهيم؟ ليس في اللحم ولكن في الإيمان؛ إذ **"آمن إبراهيم باللَّه فحُسب له براً"** (رو ٤: ٣)[١٦]. لذلك إن كان إبراهيم إنساناً باراً لأنه آمن، فإن الذين يحاكون إيمان إبراهيم قد صاروا أبناء إبراهيم.

ورغم أن اليهود مولودون منه بالجسد، إلاَّ أنهم قد فقدوا بنوتهم. ولكننا اكتسبنا [البنوة لإبراهيم] بالتشبُّه بما فقدوه [اليهود] بسبب فسادهم، رغم أننا مولودون من غُرباء. ومع أنهم ينحدرون من نسل إبراهيم بالجسد، إلاَّ أنهم بعيدون كل البعد عن كون إبراهيم أباً لهم. إن آباءهم هم الذين اعترفوا عندما قالوا: **"لو كُنَّا في أيام آبائنا لَمَا شاركناهم في**

---

[١٦] أُنظر أيضاً (تك ١٥: ٥). (المُعرِّب)

دم الأنبياء" (مت ٢٣: ٣٠). وكأن الرب كان يقول لهم: كيف لم تشتركوا مع أولئك الذين تدعونهم آباءكم، لأنهم إن كانوا آباءكم فأنتم أبناؤهم، وإن كنتم أبناءهم فأنتم تشتركون معهم؟

ومن ناحية أخرى: إن لم تشتركوا معهم فلستم أبناءهم، وإن كنتم لستم أبناءهم، فليسوا آباءكم. ولذلك من الحقيقة ذاتها أنهم دعَوا قتلة الأنبياء آباءهم، وقد أوضح لهم الرب أنهم فعلوا ما اقترفه قتلة الأنبياء؛ إذ قال لهم: "**فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم**" (مت ٢٣: ٣١).

٤- فلنتأمّل فيمَنْ هُم أبناء المقتولين ومَن هم أبناء القتلة. أنتم ترَون كثيرين يُهرَعون نحو قبور الشهداء، وترَونهم يباركون كؤوسهم عند مقابر الشهداء، وتبصرونهم عائدين وهم في حالة من البكاء. تفحَّصوا فيهم عن قرب، وستجدون أن بعضاً منهم من مُضطهِدي الشهداء!

بسببهم نحن [نُعاني] حالة من الاضطرابات، والخصام، والرقص، وكل أنواع الفِسْق المكروه عند اللّه. وما دام الشهداء قد نالوا بالفعل إكليلهم، فلا يقدر أولئك المُضطهِدون على الاعتداء عليهم بالحجارة، ولكنهم يهاجمونهم بكؤوسهم.

من هم أولئك الذين مُنِعوا من الاحتفال عند ضريح الشهيد المُطَوَّب كِبريانوس خلال الاحتفال الأخير الذي كان تقريباً

بالأمس؟ وأبناء مَنْ هم؟ لقد كانوا يحتفلون وهم في حالة من المُجون[١٧]. كانوا يتوقون باشتياق إلى هذا الاحتفال. فالمشاركة سوف تمنحهم المتعة. كانوا مشتاقين إلى حضور مثل تلك الاحتفالات دوماً. ولكن في أية فئة يمكننا أن نَعُدَّهم؟ أَنُدرجهم بين صفوف مُضطهِدي الشهداء؟! أمْ بين أبناء الشهداء؟!

---

[١٧] سُمح في الأعياد الدينية بالتسلية الدنيوية من أجل نزع خطر الممارسات الوثنية عن المهتدين من الوثنية إلى المسيحية. لأنه إن لم يكن قد سُمح لتلك التسلية لكان قد حضر بلا شك كثير من أولئك المهتدين إلى الاحتفالات الوثنية التي كانت تُقام في ذاك اليوم.

وهذه العادة لم تكن منتشرة فقط في أفريقيا أو في القرن الخامس الميلادي. ففي أسيا الصغرى: سمح القديس غريغوريوس الصانع العجائب بهذه الممارسة في قيصرية الجديدة تقريباً في منتصف القرن الثالث الميلادي.

وقد وجَّه الأب غريغوريوس الكبير بابا روما (٥٩٠ - ٦٠٤م) النصيحة إلى ميليتيوس بالسماح لهذه الممارسة في إنجلترا. ولم يَدِن القديس أُغُسطينوس هذا الفعل أو اعترض على دوافع أولئك الذين سمحوا أن تستمر هذه الممارسة، بل دافع عن هذه الممارسة بأنها لم تَعُد تفي بغرضها الأصلي في يومه هذا.

وقد انقطعت في إيطاليا وأماكن أخرى، بينما ما زالت مستمرة في أفريقيا، وباتت عادة خبيثة وفاضحة، ويكثر فيها شرب الخمر وممارسة الرذيلة. وقد مُنعت هذه العادة بقرار مجمع في قرطاجة.

Cf., *the Fathers of the Church*, op. cit., p. 344; Cf. Sermons 254, 311- Epist. 29.11.

فلمَّا حُرِموا من الاحتفال أزاحوا الستار عن شخصيتهم؛ لقد أظهروا جهلهم عندما شرعوا في إثارة أعمال الشغب. فأبناء الشهداء يسكبون المديح، بينما يتصارع مُضطهِدو الشهداء في الاحتفال!

أبناء الشهداء يُرتِّلون تسابيح، أمّا أبناء المُضطهِدين فينغمسون في المرح الصاخب، وتقديم التسبيح بالنسبة لهم أمر ليس له أهمية. وعندما يُقدِّم أولئك التسبيح فإنهم يتشابهون مع القائلين: **"لو كُنَّا في أيام آبائنا لَمَا شاركناهم في دم الأنبياء"** (مت ٢٣: ٣٠). ليتشبَّهوا بإيمان الشهداء، وحينها سنؤمن أنهم لم يشتركوا مع قتلة الشهداء.

ما هو السبب في أن الشهداء قد تكلَّلوا؟ إني أُؤمن أنهم نالوا إكليل [الشهادة] لأنهم سلكوا الطريق الإلهي واحتملوا آلامهم بكل صبر وطول أناة. أحبوا أعداءهم وصلَّوا لأجلهم. وهذا ما يُشكِّل كلاً من استحقاق الشهيد وإكليله.

إن كنتم تحبون الشهداء، وتسيرون على دربهم وتمدحونهم، فأنتم إذاً أبناء الشهداء.

ولكن إن كنتم تسلكون في غير ذلك، فستنالون مكافأة حسب سلوككم.

لنستعد لتحمُّل آلام المسيح دوماً:

٥- أيها الإخوة الأحباء، كما قلتُ مسبقاً إن الشيطان يثور [علينا] ويتربص [بنا] دائماً. ولهذا فمن اللائق بنا أن نستعد دائماً بترسيخ قلوبنا في الرب. وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا في التضرع إلى الرب من أجل [أن ننال] الجَلَد والشجاعة وسط طريق الضيقات والمِحَن، لأننا لسنا شيئاً بل مُجرَّد أبناء صغار.

ماذا يجب علينا القول فيما يخص أنفسنا؟ لقد سمعتم الإجابة من بولس الرسول عندما كنتم تقرأون رسالته، حيث قال: **"لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً"** (٢ كو ١: ٥). ولقد عبَّر [داود] في المزمور بالطريقة ذاتها قائلاً: **"عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تُلذِّذ نفسي"** (مز ٩٤: ١٩). فالمرتل يُعبِّر بطريقة والرسول بطريقة أخرى، وكلاهما يخبراننا بأنه إن لم يكُن معنا المُعزِّي، لكُنَّا قد خضعنا للمُضطهِد واستسلمنا له.

فأصغَوا إلى ما يقوله الرسول عندما كان - بسبب دعوته للخدمة - مُعْوَزاً لقوة التحمل أو على الأقل لمعونة [إلهية] إضافية على تلك القوة، يقول: **"فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسِيا، أننا تثقَّلنا جداً فوق الطاقة.."** (٢ كو ١: ٨). هذه الضيقة تخطت حدود قوة الإنسان

على التحمُّل. ولكن هل كانت أكثر قوة وفعالية من معونة الرب؟ يقول: "تثقّلنا جداً فوق طاقتنا". إلى أي مدى؟ أنصتوا إلى ما يقوله عن قوة عقله: "**حتى أَيِسْنا**[١٨] **من الحياة أيضاً**" (٢ كو ١: ٨). كم كان مُحبَطاً من كثرة محَنه عندما كان القلق يُطَوِّقه ويُرجعه إلى الوراء، ومع هذا كم كانت عناية اللّه تحثه نحو الاستمرار إلى ما هو قُدَّام!!

يقول في موضع آخَر: "**ولكن أن أبقَى في الجسد ألزمُ من أجلكم**" (في ١: ٢٤). وحتى الآن بات الاضطهاد والمِحَن والضيقات عظيمة جداً لدرجة أن [الرسول] يئِسَ من حياته. الخوف والرعدة قد آتيا عليه والظلمة اكتنفته، كما سمعتم عندما قُرأ المزمور. هذا هو صوت جسد المسيح، صوت أعضاء المسيح.

هل تودون أن تُسلِّموا به وكأنه صوتكم؟ فكونوا إذاً أعضاء المسيح واستمعوا إلى ما يقوله [النبي] في المزمور: "**خوف ورعدة أتيا عليّ، وغَشِيَني رُعب. فقلتُ: لَيْتَ لِي جناحاً كالحمامة، فأطيرَ وأسْتَرِيحَ!**" (مز ٥٥: ٥ - ٦). أليست هذه مثل صرخة الرسول لمَّا قال: "حتى أَيِسْنا من الحياة أيضاً". هو كما لو كان يُعاني

[١٨] أي يئسنا. (المُعرِّب)

اليأس من وحل الجسد؛ إذ أنه كان يتوق إلى الطيران إلى المسيح حينما كانت كثرة الآلام تعيق رحلته.

نَعم لقد كان سائماً من الحياة، من هذه الحياة، لأنه لا يوجد تعب أو ضجر في الحياة الأبدية، التي يُشير إليها بقوله: "**لأنَّ لي الحياة هي المسيح والموتُ هو ربحٌ**" (في ١: ٢١). عناية اللَّه هي التي كانت تدفعه بقوة إلى إبقائه في هذه الحياة.

فما كانت نتيجة هذه القيود؟ "**ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي، فماذا أختار؟ لستُ أدري! فإني محصور من الاثنين: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً**" (في ١: ٢٢-٢٣). "ليت لي جناحاً كالحمامة، فأطير وأستريح!" وأيضاً: "ولكن أن أبقَى في الجسد ألزَمُ من أجلكم". لقد سلَّم ذاته وخضع من أجل طيوره الصغيرة المُغرِّدة، فسيَّج حولهم ورعاهم وربّاهم تحت جناحيه المُنبسطَيْن. تعبيره الخاص هو: "**بل كُنّا مُترفقين في وسطكم كما تُربِّي المُرضِعة أولادها**" (١تس ٢: ٧).

لنتمثَّل بالمسيح لأنه تألَّم لأجلنا أولاً:

٦- والآن يا إخوتي، فلنتأمل في الفقرة التي قُرئت عليكم منذ قليل: "**كم مرةٍ أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تُريدوا!**" (مت ٢٣: ٣٧). تأمّلوا الفرخة،

ثم تأملوا في الطيور الأخرى التي تبني عششاً. إن هذه الطيور تَفقِس بيضَها وتُطعم صغارها، ولكنكم لن ترونها ضعيفة مع نسلها. وعلى النقيض، لاحظوا وضْع حالة الفرخة عندما تُطعم فراخها. لاحظوا كيف تتغير قأقأتها[١٩] وتصير إلى نوع ما من القرقرة[٢٠] الأجَشَّة، ولا ترَون جناحَيها منكمشَيْن ومُفعَمين بالحيوية، بل ترَون أن شَعر جناحَيها شَعِث ويتساقط.

وإن رأيتم طائراً آخَر وأنتم لا تعرفون شيئاً عن عشه، فلن تقدروا أن تخبرونا ما إذا كان في العش بيض أو فراخ صغيرة. ولكن الفرخة فريدة من نوعها بخصوص هذا الأمر؛ فحتى إن كنتم لا ترون بيضها أو فراخها الصغيرة، ولكنكم تعرفون أنها أُمٌّ من قرقرتها وحالة جسمها.

ولكن، ماذا فعل حكمتنا [المسيح][٢١]؟ الحكمة صار ضعيفاً في الجسد، من أجل أن يجمع فراخه ليُطْعمها وليعتني بها.

---

(١٩) القأقأة هو صوت الدَّجاج عند البيض. أُنظر: معجم اللغة العربية المعاصر. (المُعرِّب)

(٢٠) قَرقَرت الدَّجاجة أي ردَّدَتْ صوتها كصوت الزجاجة إذا صُب فيها الماء. أُنظر: المعجم الوسيط، الطبعة الثالثة، ج٢، ص ٧٥٧. (المُعرِّب)

(٢١) أُنظر (١كو١: ٢٤). يقول القديس أُغسطينوس في موضع آخَر: [أليس عبثاً أن تشبِّه الدَّجاجة بحكمة الله... لا يوجد طائر آخَر يصير ضعيفاً عندما يُطعِم فراخه... نحن نلاحظ هذا من ضعف صوتها وسقوط جناحيها... مثل حكمة الله الذي صيَّر نفسه ضعيفاً لأننا كنا ضعفاء.] (تفسير المزمور ٩٠).

Cf., *The Fathers of the Church*, op. cit., p. 348.

ولكن ضعف اللَّه [في الجسد] أقوى من البشر[٢٢]. تحت جناحي ضعف جسده وتحت قوة لاهوته المُستترة جمع الربُّ أبناء أورشليم. ولقد علَّم رسوله أن يفعل الأمر ذاته، لأنه هو الذي كان يعمل في شخص الرسول كما يخبرنا هو قائلاً: **"أنتم تطلبون برهان المسيح المُتكلِّم فيَّ.."** (٢كو١٣: ٣).

ويقول أيضاً إن آلام المسيح تكثر فيه - ليست آلامه الخاصة - بل آلام المسيح. لأنه كان عضو المسيح في جسد المسيح. ومن ثَمَّ فهذا يعني: رغم أن الرسول كان يتوق بشوق إلى أن يطير كحمامة، إلا أنه لأجل محبته لفراخه بقي معهم مثل الفرخة.

ومرة أخرى يقول: **"لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون مُتَّكلين على أنفسنا بل على اللَّه الذي يُقيم الأموات، الذي نجَّانا من موت مثل هذا، وهو يُنجِّي. الذي لنا رجاء فيه أنه سيُنجي أيضاً فيما بعد"** (٢كو١: ٩-١٠). ماذا يعني الرسول بقوله: "الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو يُنجي"؟ هو يقصد أن يُخبر أهل مدينة كورنثوس أن المسيح يحفظ حياته الراهنة من أجلهم؛ إذ قد نجَّاه من ميتات كثيرة خشية أن يُهزم بواسطة

---

[٢٢] أنظر (١كو١: ٢٥).

مضطهِديه، حتى ينال إكليله قبل أن تتوقف فراخه عن الاحتياج إليه.

وهذا أيضاً ما يعنيه عندما يقول: "**ولكن أن أبقى في الجسد ألزمُ من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدُّمكم وفرحكم في الإيمان**" (في ١: ٢٤ - ٢٥). إن توقه المُضرَم كان يقوده في طريق واحد، ليس سوى فراخه. إن الحاجة هى التي كانت تدفعه إلى البقاء. [يقول]: "**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً**" (في ١ : ٢٣). لم يَقُلْ الرسول: إنه من الضروري، بل قال: "ذاك أفضل جداً".

نحن نخوض حرباً مع الموت وكل أعماله:

٧- إن الضرورة قد فرضت حاجة إضافية إلى شيء ضروري. على سبيل المثال: إن الطعام الذي نستهلكه هو طعام ضروري لنا الآن - لأننا نحتاج إليه لكي نساند هذه الحياة الزمنية - ولكن يوجد طعام آخَر هو طعام الفضيلة والحكمة، الخبز الحي، الخبز المُجدِّد والذي لا يُضعِف مُطلقاً. ذاك الخبز أفضل جداً!!

نَعم إن هذا الخبز أفضل جداً، بينما الخبز الآخَر هو ضروري. وبناء على ذلك، فإن ذاك الطعام [الجسدي] لن

يكون بعد ضرورياً عندما تكون احتياجات الجائع وضرورية مساندة هذا الجسد المائت قد زالت وولَّتْ.

أصغوا إلى قول الرسول: "**الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، واللَّه سيُبيد هذا وتلك**" (١كو٦: ١٣). ومتى سيُبيدها اللَّه؟ في القيامة [قيامة الأجساد] عندما يصير هذا الجسد الشهواني جسداً روحيّاً، لأنه لن يكون حينئذ أي احتياج وأي أعمال ضرورية؛ سواء الأعمال التي تُدعى الآن أعمالاً صالحة، أو حتى الأعمال التي حُذِّر من اقترافها كل يوم.

أيها الإخوة، كل هذه الأعمال هى أعمال ضرورية: أن تشاركوا طعامكم مع جائع، أن تشاركوا بيتكم مع المحتاج ومن ليس له مأوى، أن تعتنوا وتكسوا عرياناً، أن تهتموا بدفن الموتى، أن تصنعوا اتفاقاً مع المتخاصمين، أن تفتقدوا مريضاً وأن تمدوا يد العون له. فهل توجد أعمال أخرى يمكن أن تكون صالحة جداً، جديرة جداً بالمدح، متسمة جداً بالسمات المسيحية؟

كل تلك الأعمال هى مستوجبة المديح. ولكن إن فكرتم ملياً فيها، فإنكم ستجدون أن الضرورة هى أُم تلك الأعمال. مثلاً: أنتم تشاركون الجائع طعامكم، ولكن إن لم يوجد أي جائع، فمَن كنتم ستشاركون طعامكم؟ فاطرحوا بعيداً الضرورة الناجمة عن عوز آخَر، ولن يكون هناك أية حاجة لشفقتكم.

وربما تُقارن هذه الأعمال بسفينة تحملنا إلى وطننا، لأن الإنسان لن يحتاج إلى سفينة لكي يرحل من وطنه بل لكي يرحل إليه ويمكث هناك إلى الأبد. وحتى الآن، فالسفينة تحمل الركاب إلى الوطن، رغم أنه لا حاجة إلى ذلك في الأرض ذاتها. ولذلك لن نستطيع فيما بعد أن نؤدي هذه الأعمال، عندما تنتهي رحلة حياتنا، ولكن لم نكن قد أدينا تلك الأفعال خلال هذه الحياة، فلن نستطيع الوصول إلى الحياة العتيدة.

ولهذا السبب أيها الإخوة، اشغلوا أنفسكم الآن في [تنفيذ] هذه الأفعال، لكي تصيروا مُطوَّبين في التمتع بالحياة الأبدية حيث لن تكون هناك ضرورة أو حاجة [لفعلها]. لن تكون هناك ضرورة، لأن الموت نفسه - مصدر جميع الضرورات - سيكون قد مات. [يقول]: **"لأن هذا الفاسد لابد أن يَلبَس عدم فساد.."** (١كو ١٥: ٥٣). متى سنسأل الموت هذا السؤال: **"أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟"** (١كو ١٥: ٥٥). بهذا السؤال سوف نُخاطب الموت الذي هُزِم وغُلِب، لأن: **"آخِر عدو يُبْطل هو الموت"** (١كو ١٥: ٢٦).

٨- في هذه الحياة الراهنة، نحن نخوض حرباً ضَروساً مع الموت من خلال كل الأعمال الضرورية. لأن كل رغبة واحتياج هى كعملية جذب نحو الموت، بينما يُساعدنا كل دواء على الانسحاب من الموت.

إن الجسد [الإنساني] غير مستقر ومُتقلِّب لدرجة أنه توجد أنواع ميتات - إذا جاز التعبير - تُصد بميتات أخرى.

وربما يقول إنسانٌ ما: إن أي دواء يُستعمل ضد الموت يصير بداية صغيرة إلى نوع آخَر من الموت بمجرد التوقف عن الاستمرار في استخدامه. إذاً كيف يمكن التحقُّق من هذا الأمر في حياتنا الراهنة؟ أي علاج ضد الموت هو في حد ذاته بداية صغيرة إلى الموت إن كنتم تعانون من آلام الموت بواسطة الاستمرار في استخدام [العلاج].

على سبيل المثال، خذوا حالة إنسان يستخدم دواء الصوم. فهو يستعيد قوته إن أكل وهضم، ولكن حينما يصوم فإنه يستخدم دواء الصوم من أجل أن يصد الموت الذي جلب عليه الإفراط [في الأكل]، ولن يصارع ذاك الموت ما لم يستخدم دواء الصوم والتقشُّف.

وبالرغم من ذلك، سوف يبرهن على خوفه من الجوع إن استمر في استخدام دواء الصوم، مع أنه شرع في استعمال هذا الدواء من أجل الصراع مع الموت الذي جلب عليه الإفراط [في الأكل].

ولذلك كما استُعْمِلَ الصوم كدواء ضد الموت الذي جلب عليه الإفراط [في الأكل]، يتحتم عليه أيضاً استخدام الأكل كدواء من أجل الخلاص من الموت الذي جلب عليه الصوم.

على أي حال، إنكم ستموتون إن كنتم ستستمرون في استعمال أي دواء من الاثنين.

هل المشي مرهق لكم؟ فسوف تصابون بالإغماء وتموتون من شدة التعب إن استمريتم في المشي بدون توقف. ثم تجلسون كي تنالوا قسطاً من الراحة وتتجنبوا الإغماء. ولكن إن بقيتم جالسين للراحة، فإنكم ستموتون بسببها.

هل ضَغَط النوم الثقيل بوزنه عليكم؟ [حينها] كان عليكم أن تستيقظوا أو كنتم لتموتون بسببه. بَيْدَ أنكم ستموتون من الأرق ما لم تناموا مرة أخرى. لأنه في الصراع والجهاد مع أي شرّ يَظلمكم ويضطهدكم: هل في وسْعكم أن تحددوا أي دواء تتخذونه بدرجة عالية من الأمان؛ لدرجة أنكم ترغبون في الاستمرار به إلى أجل غير مُسمًّى؟

أي دواء تختارونه سيكون في حد ذاته تهديداً. ولذلك طوال هذا التتابع المتغيِّر على الاحتياجات والأدوية، فإننا نشن حرباً مع الموت. ولكن عندما يَلبَس هذا الجسد الفاسد عدم فساد، وهذا الجسد المائت يَلبَس عدم موت، فسيُسأل الموت ذاته: **"أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتكِ يا هاوية؟"** (١كو١٥: ٥٥)، حينئذ سنرى ثم نُمجِّد، فننال الراحة. لن نحتاج إلى يد العون، لأنه لن تكون هناك حاجة.

بين الحياة الأرضية والحياة الأبدية:

في تلك الحياة [الأبدية] لن تجدوا شحاذاً تشاركونه طعامكم، ولا غريباً تشاركونه بيتكم. لن تجدوا ظمآنَ تتقاسمونه شرابكم، عرياناً لتكسوه، مريضاً لتزوره، متخاصمين لتصالحوهم، وموتى لتدفنوهم.

في تلك الحياة [الأبدية] الجميع: سيُطْعَم طعام البر، وسيشرب شراب الحكمة، وسيتوشَّح بوشاح الخلود، وسيحيا في الوطن الأبدي. صحتهم ستكون الأبدية ذاتها! سيدوم سلامهم وفرحهم!!

في تلك الحياة [الأبدية] لن يكون هناك مرض ولا موت.

٩- بوسعنا أن نسرد تلك الأمور التي لن نجدها هناك [في الحياة الأبدية]. ولكن مَن يقدر أن يصف ما سيكون هناك؟ "**ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أُذُن، ولم يخطر على بال إنسان..**" (١كو٢ : ٩). حقاً عن استحقاق يقول الرسول: "**فإني أحسبُ أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**" (رو٨ : ١٨).

تذكَّروا أيها المسيحيون، أن أي آلام ستقاسوها هي ليست بشيءٍ مقارنة بالجَعالة التي ستنالونها. وبإيماننا نحن نبقى أمناء لهذا المُعتقد.

وبالتالي لا يمكنكم إدراك ورؤية ما سيكون [في الحياة الأبدية]. ولكن ما أعظم ما لا يمكننا إدراكه والذي قُدِّر لنا أن ننالـه!! نَعم سنكون ما سنكون، بَيْدَ أنه لا يمكننا أن نرى ماذا

سنكون. لأن هذا يتخطَّى حدود ضعفنا، يتخطَّى كل قدرة أفكارنا، يتخطى أقصى حدود عقلنا.

ولكن على أي حال، كما يقول يوحنا [الرسول]: "**أيُّها الأحباء، الآن نحن أولاد اللَّه..**" (١يو٣: ٢). حقاً نحن أولاد اللَّه في هذه الحياة بالتبني، بالإيمان، بالوعد. لأننا يا إخوتي، قد اقتبلنا الروح القدس كعربون. فكيف يُهمل ذاك الذي أعطانا عربوناً مقداره هذا!

قول الإنجيلي: "**نحن أولاد اللَّه، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو**" (١يو٣: ٢).

يقول الإنجيلي: "ولم يُظهَر"، ولكنه لم يصف ما [هو هذا الذي] لم يُظهَر. يقول: "ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون"، ولم يقل: نحن سنكون هذا أو ذاك، ومثل هذا سنكون.

لمَنْ يمكن [للرسول] أن يُعطي وصف ما يصفه؟ إني أتساءل: لمَن يصف هذا؟ لن أتجاسر على أن أسأل: مَن بوسعه أن يصف هذا؟ رُبَّما كان الإنجيلي نفسه هو من يَقدر على الوصف، لأنه هو الذي اتكأ على صدر المسيح، وشرب الحكمة من ذاك الصدر في العشاء الأخير[٢٣].

---

[٢٣] أُنظر (يو١٣: ٢٣). يقول القديس أُغسطينوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: [لم يتكئ يوحنا الإنجيلي على صدر المسيح إلاّ ليشرب أسرار حكمة الرب وليس لسبب آخر]. Cf., *The Fathers of the Church*, op. cit., p. 354.

وبهذه الحكمة [قال بقوة] البرق هذه الآيـــة: "في البدء كان الكلمة" (يو ١: ١). هو الذي أخبرنا: "ولكن نعلم أنــه إذا أُظهِـر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو". سنكون مثل مَنْ؟ مَن نحــن؟ أولاده بالطبع.

يقول الإنجيلي: "أيها الأحباء، نحن أولاد اللّه، ولم يُظهَـر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثلـه [مَـن نحن؟ أولاده]، لأننا سنراه كما هو".

والآن إن كنتم ترغبون في أن تكونــوا مثلــه، إن كنــتم تشتهون معرفة مَن الذي ستكونون مثله، ثبّتوا أنظــاركم فيــه بقدر ما تستطيعون. ولكن إن كنتم لا تُثَبِّتون أنظــاركم فيــه، فأنتم لا تعرفون من الذي ستكونون مثله. ولهــذا لا تعرفــون كيف ستكونون مثله. ولأنكم لا تعرفــون ماهيتــه[٢٤]، فــإنكم لا تعرفون ماذا ستكونون.

---

[٢٤] يقول القديس أُغسطينوس في تفسيرة للمزمــور (٨٥): [إن اللّــه لا يمكــن وصفه؛ فإننا نستطيع أن نقول إن اللّه ليس هو كذا وكذا أسهل من أن نقــول إنه كذا وكذا]. وفي مواضع أخرى يقول: [حقاً، لا توجد أية بدايــة صــغيرة لمعرفة اللّه، إن ابتدأنا أن نعرف أن اللّه ليس هو كذا وكذا قبل أن نعرف مَنْ هو].

(Epist. 120.3.13; cf. De Trinite 8.2.3; In Joan. evang tr 23.9)
Cf., *The Fathers of the Church*, op. cit., p. 354.

لنُصلِّ من أجل بعضنا بعضاً:

١٠- بتذكرنا هذا أيها الإخوة الأحباء، لنتطلَّع باشتياق إلى فرحنا الأبدي، لنُصلِّ من أجل [أن نوهَب] الجَلَد في جهدنا الزمني ومِحَننا. لنُصلِّ لأجل بعضنا بعضاً. أروم أن تُقبل صلواتي من أجلكم، وصلواتكم من أجلي.

ولا تفكّروا أيها الإخوة في أنكم لستم بحاجة إلى صلواتي، وأني لستُ بحاجة إلى صلواتكم. كلّنا في حاجة إلى أن يُصلِّي بعضنا من أجل بعض. فصلواتنا المُتبادلة هى صلوات تشتعل بالمحبة مثلُ ذبيحة مُقدَّمة على مذبح التقوى ويفوح منها رائحة زكية ويُسَرّ بها الرب.

إن كان الرسل قد اعتادوا على التماس صلواتهم من أجل بعضهم[٢٥]، فكم بالأحرى علينا أن نفعل هذا الأمر؟! لأني بعيد كل البُعد عن كوني مساوياً لهم، رغم أني أتوق إلى اقتفاء أثر خطواتهم على قدر الإمكان، وليس لي حكمة أن أقول أي تقدُّم قد أحرزته.

---

(٢٥) أنظر (رو ١٥: ٣٠) ، (٢كو ١: ١١) ، (في ١: ١٩) ، (كو ٤: ٣) ، (١تس ٥: ٢٥)، (٢تس ٣: ١) ، (عب ١٣: ١٨).

كان أولئك الرجال [الرسل] - بكل عظمتهم - مشتاقين إلى أن ترفع الكنيسة صلوات من أجلهم. لقد اعتادوا القول: ".. **إننا فخركم، كما أنكم أيضاً فخرنا في يوم الرب يسوع**" (٢كو ١: ١٤).

كانت عندهم عادة الصلاة من أجل بعضهم بعضاً توقعاً ليوم [مجيء] ربنا يسوع المسيح، لأن لن يكون في هذا اليوم سوى المجد، ولكن لن يكون غير الضعف حتى ذلك اليوم.

لنُصلِّ في ضعف، لكي نبتهج في مجد. في أوقات مختلفة، وحتى الآن في الوقت نفسه، علينا أن نُصلِّي جميعاً إلى ذلك اليوم. مختلفة هي أوقات رحيلنا من هذه الحياة [الأرضية]، أمَّا زمن إكليلنا فهو واحد للجميع. فإننا سوف نجتمع في الوقت والمكان ذاتَيهما من أجل أن نقتبل المكافأة التي نشدناها برجاء في أوقات متعددة.

وهذا المعنى فُسِّر وشُرِح في حالة مَثَل الفَعَلة في الكرم. فقد استأجرهم [رب البيت] في أوقات مختلفة، البعض في الساعة الأولى، والبعض في الساعة الثالثة، والبعض في الساعة السادسة، والبعض في الساعة التاسعة، والبعض في الساعة العاشرة[٢٦] ولكن الجميع قد أخذ الأجرة في الوقت نفسه.

---

[٢٦] أنظر (مت ٢٠: ١ - ٦). ذُكرت في الإنجيل الساعة الحادية عشرة وليست الساعة العاشرة.

الفهـرس

تقديم ٩

مقدمة ١٠

نَصّ العظة ٢٤

- الاحتفال بالشهداء ٢٤
- على الجميع أن يتمثَّلوا بالشهداء ٢٦
- مَنْ هم أبناء الشهداء ومَنْ هم أبناء المُضطهدين ٢٨
- لنستعد لتحمل آلام المسيح دوماً ٣٣
- لنتمثَّل بالمسيح لأنه تألَّم لأجلنا أولاً ٣٥
- نحن نخوض حرباً مع الموت وكل أعماله ٣٨
- بين الحياة الأرضية والحياة الأبدية ٤٣
- لنُصلِّ من أجل بعضنا بعضاً ٤٦

Ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ ⲛ̀ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
Coptic Orthodox Patriarchate

The Coptic Orthodox Cultural Center
المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

رتَّبت الكنيسة لنا أن نحتفل بأعياد الشهداء، أولئك الذين سلكوا الطريق الإلهي، واحتملوا الآلام بكل صبر وطول أناة، أحبُّوا أعداءهم وصلُّوا لأجلهم.

وفي هذه العظة يشرح لنا القديس أُغُسطينوس كيف أنَّنا نخوض حرباً مع الموت وكل أعماله، ثم ينتقل شارحاً لنا كيف أن ربنا يسوع المسيح مجد الشهداء، وهو مانح القوة في مواجهة الآلام فلا نخاف بسبب ضعفنا البشري أو شِدَّة المُعاناة.

ويتأكَّد هذا المعنى بما نُردِّده في مقدمة قانون الإيمان: "... المجدُ لك يا سيدنا وملكنا المسيح: فخر الرُسُل، إكليل الشُّهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس ...".

الأنبا إرميا
الأسقف العام

المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي
الكاتدرائية المرقسية بالأنبا رويس
٢٢٢ ش رمسيس بالعباسية - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٥٣٠ ٢٤٨٨ - ٦١٦٣ ٢٤٨٢ (٠٢)
فاكس: ٥٥٤١-٢٦٨٥ (٠٢)

E-mail: info@copticocc.org www.copticocc.org